شعبي العزيز، التقيت بشمعون بيرس وتذاكرنا في اطار مخططات فاس. التقيت به، لانه ليس هناك ما يمنعني من لقائه، ولانه ليس هناك قرار من قرارات الجامعة العربية، من يوم تأسيسها الى يومنا هذا، يمنع مسؤولاً عربياً من الالتقاء بمسؤول اسرائيلي. اني لم التق به في الخفاء، كما فعل البعض، لان الذين ينتقدون على صنفين؛ فهناك من التقى به سراً. واسمح لي ان اقول لك ان هناك من يسيل لعابه لاستقبال شمعون بيرس ولم يرد بيرس ان يذهب عنده ويخاف ان يأتي عنده علانية.

ان شمعون بيرس قضى يومين يتجول في المغرب، لا شرطي يحرسه، لان عنده من يحرسه، الا وهو العقل المغربي ورزانة المغاربة ومسؤوليتهم وتربيتهم على مدى اربعة عشر قرناً.

وان ما اعتز به، هو انك كنت تعرف، على مدي يومين، ان شمعون بيرس موجود هنا، وما تحرك متحرك علماً منك بان الامور بخواتمها وانك تنتظر ما سيخرج به هذا الاجتماع. انا اقول لك، ومن خلالك لجميع الذين اردوا ان يسطوا علينا بغطرستهم.

ستقولون، لماذا لم تلتق به منذ ثلاثة اشهر، او اربعة ؟ ولماذا لم تؤخر ذلك لخمسة اشهر او ستة؟

السبب واضح، لان هناك ظروفاً عربية واسرائيلية. وستقول: ما دخل الظروف الاسرائيلية؟ شعبي العزيز، لنعد قليلاً الى الوراء، عندما كنا في المنفى وكان الشهداء يسقطون والوطنيون يسجنون. الم نكن مشغولي البال، صباح مساء، بالحكومة التي ستتولى زمام الامور؟ الم نكن نحسب حتى الاصوات التي ستجعل ادغار فور ينتصر او لانييل يبقى في الحكم او غي موليه ينهزم او غيره ينتصر؟ كنا نحسب ذلك بالنقير والتطمير، بل ربما كنا نحن اعرف من الفرنسيين باسماء نوابهم.

شعبي العزيز، هذه هي دروس المحنة والاستعمار، ليس مثل البعض الذين جاء بهم القضاء وليس القدر ولا دراية لهم بمجريات الامور، بحيث كان علي ان ادخل في الاعتبار المناخ الاسرائيلي. ففي اعتقادي ان هذا المناخ سيتغير رأساً على عقب بعد اربعة اشهر. شمعون بيرس، كما تعلم، سيسلم الحكم لحزب ليكود، وهو الحزب اليميني المتطرف. قلت ان على المرء ان يرى وضعيته ووضعية خصمه. هذا من الناحية الاسرائيلية. لهذا اخترت الآن. ولكن السبب الآخر، الذي هو ذو خطورة، هو انه، منذ سنتين تقريباً، لم نعد، شعبي العزيز، نسمع اي شيء عن القضية الفلسطينية. كل اهتماماتنا وطاقاتنا منصبة على الخصومات العربية ـ العربية والحرب العراقية ـ الايرانية. قلت لنفسي: كيف بلغت بنا ـ ونحن كل العرب مسؤولون عن ذلك ـ قلة الوعي والمسؤولية ان يخلق لنا البعض مشاكل جانبية، تتمثل في خصومات العراق مع سوريا، والعراق مع ليبيا وسوريا مع الاردن، وخصومات منظمة التحرير الفلسطينية مع سوريا وليبيا، وحالياً مع الاردن، ثم العرب والمسلمين يموتون وبعض الدول العربية تساند الايرانيين ناسية الدفاع المشترك الذي يفرضه ميثاق الجامعة العربية ؟. فهل، والحالة هذه، بلغت بنا الغباوة الى ان تنطلي علينا الحيلة ونضيع فرصنا واوقاتنا في معارك جانبية وننسى المشكل الاساسي، وقلت لنفسي ربما لو قمت، من جديد، بتحريك هذا المشكل الاساسي، فان العرب، كيفما كان الحال، سيجتمعون مرة اخرى من اجله، وربما سيذيبون، في هذا الاجتماع، المشاكل القائمة بين بعضهم البعض، وسيوحدون، من جديد، قواهم للتصدي. لماذا؟ لان الارض المحتلة لا تهمني بقدر ما يهمني الانسان المحتل. أليس حرام علينا ان نظل نتساب ونتخاصم فيما بيننا وننسى الرجل العجوز في الارض المحتلة والرجل الكهل الذي لم يكن عمره يتجاوز السنة او السنتين، وهذه اربعون سنة منذ نزل عليهم الكابوس، والاطفال الذين ازدادوا وفتحوا اعينهم على الاستعباد والقهر والغلبة؟ فالارض لا تمسخ، فهي تبقى كما كانت لا تتغير، ولكن البشر يتغير.

فعندما نسترجع الارض والبشر، فاي بشر سنسترجع ؟ فاي شكل عربي، او مسلم، او حتى